بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الثاني

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألَّا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أمَّا بعد..

ففي مثل هذا الوقت من الليلة البارحة جرىٰ ذِكر بعض المقدِّمات المهمة في التوحيد، ونواصل الحديث في الموضوع ذاته مستعينين بالله تبارك وتعالىٰ، وستكون هذه المذاكرة حول الإيمان:

جاء في الحديث الصحيح أن سفيان بن عبد الله الثَّقفي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سأل النبيَّ ﷺ أن يعلِّمه قولًا جامعًا لا يسأل عنه أحدًا غيره، فقال له عليه الصلاة والسلام: «**قل: آمنت بالله، ثم استقم**»، هذا الحديث عدّه أهل العلم من جوامع كلِم النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، ذلك أنَّ مَن سأل النبيَّ عليه الصلاة والسلام طلب قولًا جامعًا لا يحتاج بعده إلىٰ سؤال أحد آخر، فقال عليه الصلاة والسلام: «**قل: آمنتُ بالله، ثم استقم**»، فدلّ ذلك علىٰ أن هذين الأمرين: الإيمان بالله والاستقامة علىٰ دين الله جمَعا الخير كلَّه وأحاطا به؛ ولأجل هذا جعله النبيُّ جوابًا لهذا السائل «**قل: آمنتُ بالله، ثم استقم**».

فما المراد بقوله عليه الصلاة والسلام «**قل: آمنت بالله**»؟ وما المراد بقوله: «**ثم استقم**»؟

وأهل العلم يقولون: إن القول إذا أُطلق كما في هذا الحديث، وكما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت٣٠، والأحقاف:١٣]، كما في قوله تبارك وتعالىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٣٦]، ونظائر ذلك مما جاء في القرآن أو السنة يشمل قول القلب وقول اللسان، فالمراد بقوله: «**قل: آمنتُ بالله**» أي: قل ذلك بلسانك معتقدًا -أيضًا- ذلك بقلبِك، فهو قول بالقلب اعتقادًا وإيمانًا وإذْعانًا، وقولٌ باللِّسان تلفظًا بتوحيدِ الله تبارك وتعالىٰ والإيمانِ به، ثم التزامٌ بعد ذلك بهذا الإيمان، وتقيّدٌ به وامتثالٌ لما يدعو إليه «**قل: آمنت بالله، ثم استقم**».

وعندما تتأمَّل هذه الكلمة «**آمنتُ بالله**» هذه كلمة عربيَّة، واضحة المعنىٰ، معروفة الدلالة، والعرب يعرفون المراد بهذه الكلمة، كما أنهم يعرفون المراد بكلمة الصَّلاة من حيث اللغة، كلمة الحج من حيث اللغة، وكلمة الصِّيام من حيث اللغة، كلُّ هذه الكلمات مفهومة المعنىٰ من حيث اللغة، لكن الشريعة

جاءت وقيّدت هذه الدلالات اللغوية وخصَّتها بمعاني شرعية، لا سبيل إلىٰ إدراكها ولا مجال إلىٰ العلم بها إلا من خلال الشارع الحكيم، فالذي يريد معرفة الإيمان لا يمكن أن يعرفه من مجرَّد اللغة، وكذلك الذي يريد أن يعرف الصلاة التي أُمرنا بها لا يُمكن أن يعرفها من مجرَّد اللغة،

الصلاة لغة: الدعاء، فهل الصَّلاة الشرعية هي مجرد الدعاء؟ أم أنها أفعالٌ مخصوصة في أوقات مخصوصة بصفات مخصوصة بشروط مخصوصة!

الحج لغة القصد، فهل يكفي معرفة الحج بمعرفة دلالة الكلمة من حيث اللغة؟!

الصيام في اللغة: الإمساك، هل يكفي في معرفة الصيام معرفة هذه اللفظة من حيث اللغة؟!

الجواب: واضح، أن الدلالة اللغوية وحدها ليست كافية في معرفة المطلوب الشرعي والمقصود الديني بهذه الألفاظ، وهكذا الشأن بالنسبة للإيمان.

والألفاظ علىٰ ثلاثة أقسام:

قسم لا سبيل إلىٰ معرفته إلا من جهة الشرع، وهي الألفاظ الشرعية والعبادات المأمورِ بها، فهذه لا يمكن أن تُعرَف ولا سبيل إلىٰ معرفة حدودها وضوابطها وأركانها وشروطها إلا من خلال الشرع.

وهناك ألفاظ تُعرَف باللغة؛ كالشمس، القمر، الشهر، اليوم، الكذا، هذه أمور تعرف معناها والمراد بها والمقصود بها باللغة.

وهناك أمور لا تُعرَف إلا بالعرف، ألفاظ السبيل إلىٰ معرفتها بالعرف، وهذه أيضا لها أمثلة.

لكن كلامنا في النوع الأول، وهو الألفاظ الشرعية: الإيمان، الصلاة، الصيام، الحج وغير ذلك من الألفاظ التي جاءت في الشرع، هذه ألفاظ شرعية العلم بها لا سبيل إليه ولا مجال إلىٰ تحصيله إلا من خلال الشَّارع.

ومن هنا أريد أن أدخل معكم في حديث وفد عبد القيس؛ لأننا نحن الآن في دراسة حول الإيمان ومذاكرة حول الإيمان.

حديث وفد عبد القيس، وهو من الأحاديث المهمة جدًّا في دراسة الإيمان ومعرفته، وهو مُخرَّج في «الصحيحين» وغيرهما، وفد عبد القيس وفد جاءوا إلىٰ النبي عليه الصلاة والسلام لتعلُّم الدِّين، قالوا: (يا رسول الله؛ أتيناك في شهر حرام وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر). اختاروا المجيء إلىٰ النبي عليه الصلاة والسلام في شهر حرام؛ لأن عادة الناس في ذلك الوقت التوقف عن القتال؛ تعظيمًا للشهر،

فقالوا: (أتيناك في شهر حرام وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر) يعني ما نستطيع نأتي إليك إتيانًا أو مجيئًا متكررًا كلَّما رغبنا في المجيء، (**فأتيناك في شهر حرام وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر؛ فمُرنا بقول فصل نخبر به مَن وراءَنا وندخل به الجنة**)، وهنا ينبغي أن تقف أنت طالب العلم علىٰ مقصود السؤال، لماذا تطرح السؤال لماذا تسأل؟

والأسئلة للناس فيها مناحٍ شتىٰ ومقاصد مختلفة، ولا خير في سؤال إلا سؤال يرجو صاحبه به نفعَ نفسه ونفع غيره، أما الأسئلة التي ليس من ورائها فائدة أو من ورائها شر وضرر هذه لا خير فيها، ولا يؤجر الإنسان علىٰ طرحها؛ بل قد يأثم، فلاحظ هؤلاء ماذا يريدون بهذا السؤال، وماذا يريدون بهذه المكابدة والمشقة وتحيُّن هذه الفرصة للمجيء، قالوا: (مرنا بقول فصل) ماذا يصنعون به؟ (نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة)، هذا المقصود (نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة).

وبهذا تفهم قول الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ عندما قال: "**العلم لا يعدله شيء إذا صلحت النية، قيل: وما صلاحها؟ قال: أن تنوي به رفع الجهل عن نفسك وعن غيرك**"، هذان المقصدان اجتمعا في هؤلاء السائلين (قول فصل نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة) يعني ننتفع به نحن؛ فنعرف ما يُراد منا وماذا نؤمر به من أجل أن نعمل وندخل الجنة، هذه الهمة التي وراء هذا السؤال، وأمر آخر (نخبر به من وراءنا) يعني نخبر من لم يأت من عشيرتنا نبلغهم هذا الخير، والله يقول: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[العصر]، وهو لا يريد به أن يعمل الصالحات فيدخل الجنة ولا يريد أيضًا أن ينصح به إخوانه وقومه وأهل بيته وعشيرته، فما هي المنفعة التي يرجوها منه، وما الفائدة التي يحصِّلها منه؟ ولهذا تصحيح النية في طلب العلم مهم.

والنبي ﷺ يقول: «إنَّما الأعمال بالنيات، وإنَّما لكل امرئ ما نوىٰ».

فما أجمل هذا السؤال، وما أروع هذا المقصد (مرنا بقول فصل نخبر به من ورائنا وندخل به الجنة)، وليتنا نتحلىٰ بهذا الوصف الكريم وبهذا النعت الجميل في طلبنا للعلم، في سؤالنا لأهل العلم، في بحثنا في مسائل العلم، في قراءتنا لكتب أهل العلم، ليتنا نستصحب هذه النية المباركة والمقصد العظيم.

ماذا قال لهم عليه الصلاة والسلام؟ قال: «**آمركم بالإيمان بالله، أتدرون ما الإيمان بالله؟**» هؤلاء المخاطَبون الآن بقوله عليه الصلاة والسلام: «**أتدرون ما الإيمان بالله؟**» هؤلاء أليسوا عربا؟ أليسوا من أهل اللسان؟ أليسوا يعرفون مدلولات الألفاظ اللُّغوية؟ أليسوا يعرفون معنىٰ الإيمان لغة وإلا لا؟ قال

لهم: «**آمركم بالإيمان بالله، أتدرون ما الإيمان بالله؟**» وهم أهل لغة، هنا أريد أن تنتبه إلىٰ فائدة عظيمة جدًّا في هذا الحديث: ما حاجة قول النبي ﷺ لهؤلاء «**أتدرون ما الإيمان بالله؟**» إذا كانت اللغة وحدها كافية في معرفة الإيمان؟ هم أهل اللسان، يعرفون معنىٰ الإيمان لغة، معروف عندهم، ومن يعرف اللغة الأمر الواضح في اللغة لا يُسأل عنه، فقال: «**أتدرون ما الإيمان بالله؟**» قالوا: (وما الإيمان بالله؟) ماذا تستفيد الآن أنت من هذا السؤال: قالوا: (وما الإيمان بالله؟) وهم أهل لسان وأهل لغة، ويعرفون معنىٰ الإيمان لغة، قالوا: (وما الإيمان بالله؟) أنت تستفيد من هذا فائدة عظيمة ومهمة جدًّا وهي أن الإيمان حقيقة شرعية لا سبيل إلىٰ العلم بها إلا من خلال من؟ إلا من خلال الشارع، فالشارع هو الذي يحدد لك معنىٰ الإيمان بالله، وإلا لو كان يكفي في معرفة الإيمان شرعًا معرفته في اللغة لَمَا احتاج النبي ﷺ أن يسأل هؤلاء، ولَمَا احتاجوا هم أن يجيبوا بهذا الجواب: (وما الإيمان بالله؟)، واضح؟

«قالوا: وما الإيمان بالله؟» فعرفنا من هذا أن الإيمان حقيقة شرعية السبيل إلىٰ العلم بها الشارع، انظر هذا في قوله تعالىٰ في آخر الشُّورىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾[الشورىٰ]، فالسبيل إلىٰ معرفة الإيمان وتفاصيله وحدوده وشرائع الإيمان هو الشارع الحكيم، وأنت تعلم ذلك وتفهمه جيدًا تعجب غاية العجب من فئةٍ من المخالفين لأهل السنة والجماعة في باب الإيمان عندما يعرِّفون الإيمان، يقولون: الإيمان لغة: التصديق، إذن شرعا: التصديق، فالإيمان المطلوب منا شرعًا هو التصديق فقط، فالمصدِّق مؤمن، يا سبحان الله! هؤلاء هل فهموا هذا الحديث المخرَّج في «الصحيحين»، حديث النبي ﷺ وهو يخاطب هذا الوفد المبارك الذي جاء لمقصدٍ جليل وغاية نبيلة، هل عرفوا هذا الحديث؟ علىٰ أن كثير من هؤلاء -وهذا من المؤسف- يتحدثون عن الإيمان ويتحدثون عن كثير من الحقائق الشرعية بمعزل عن النُّصوص، وببُعد عن الكتاب والسنة وإنما يتكلمون بعقل مجرد أو بحدود اللغة أو بأقيسة عقلية أو بنحو ذلك ومن هنا ينشأ الضَّلال، فقارِن بين مسلك هؤلاء وبين المسلك المبارك من هذا الوفد المبارك الذي جاء إلىٰ النبي ﷺ وطلب قولًا فصلًا فقال لهم عليه الصلاة والسلام: «**آمركم بالإيمان بالله، أتدرون ما الإيمان بالله؟**».

وهنا أيضًا فيه حُسن تعليم وكمال توجيه وشدّ للأذهان، لاحظ النبي عليه الصلاة والسلام لما أراد أن يعلم الوفد شدهم وشد أذهانهم وانتباههم «**أتدرون ما الإيمان بالله؟**» حتىٰ تتهيأ الأذهان وتستعد الفهوم

لأخذ المعلومة تامة وافية، فلم يعطهم الجواب مباشرة ما قال: آمركم بالإيمان بالله، والإيمان بالله هو كذا وكذا، وإنما استعمل معهم هذه الطريقة، وهي كثيرًا ما تأتي في السنة وهذا من تمام النُّصح وحُسن البيان.

قالوا: (وما الإيمان بالله؟) قال: «**أن تشهدوا ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيموا الصلاة، وتؤتوا الزكاة، وتصوموا رمضان، وتعطوا الخُمُس من المَغنم**» هنا لاحظ ماذا ذكر عليه الصلاة والسلام في تعريف الإيمان؟، تأمل ما ذكر في تعريف الإيمان: الشهادتين، الصلاة، الصيام، هذه كلها من ماذا؟ من الأعمال الظاهرة، إذن العمل الظاهر داخل في الإيمان، وجزء من مسمَّاه، ولما عرّف عليه الصلاة والسلام الإيمان عرّفه بالعمل الظاهر، فالعمل الظاهر جزء من مسمَّىٰ الإيمان داخلٌ في مسماه، هذا الحديث يدلُّ علىٰ دخول العمل الظاهر في مسمَّىٰ الإيمان.

انظر إلىٰ الحديث المشهور بحديث جبريل لما سأل النبي عليه الصلاة والسلام فقال له: «أخبرني عن الإيمان»، قال عليه الصلاة والسلام: «**الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره**»، فذكر هذه الأصول الستة، وكلها اعتقادات باطنة في القلب، الإيمان بالله، والإيمان بالكتب والإيمان بالرسل والإيمان بالملائكة والإيمان باليوم الآخر والإيمان بالقدر كلها عقائد قلبية، وحديث وفد عبد القيس فسّر فيه النبي عليه الصلاة والسلام الإيمان بماذا؟ بالعمل الظاهر.

فدل مجموع الحديثين: أن الإيمان يتناول الاعتقادات الباطنة والأعمال الظاهرة، كلها داخلة في مسمىٰ الإيمان، الإيمان بالله والملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر خيره وشره هذه من الإيمان؛ بل هي أصول الإيمان وأسسه التي عليها يقوم، والشهادتان والصلاة والصيام والحج والصدقة وغير ذلك هذه كلها من أعمال الإيمان وهي داخلة في مسماه، والدلائل في الكتاب والسنة علىٰ دخول العمل في مسمىٰ الإيمان لا حصر لها، كثيرة جدًّا، اقرأ قول الله تعالىٰ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١﴾ [المؤمنون]، ثم ذكر أعمالهم من صلاة وزكاة وحفظ للفروج وغير ذلك من الأعمال هذه كلها من أعمال الإيمان، واقرأ قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ﴾ [الأنفال]، فالصلاة والزكاة والتوكل وتلاوة القرآن وذكر الله جل وعلا كل هذا إيمان، كل هذا داخل في مسمىٰ الإيمان، والإيمان يتناول هذا كله، يتناول الأعمال الظاهرة ويتناول العقائد

الباطنة.

وانظر أيضًا حديث الشُّعَب حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو في «الصحيحين»، قال عليه الصلاة والسلام: «**الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة، أعلاها: قول: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذىٰ عن الطريق، والحياء شعبة من شعب الإيمان**» وهذا الحديث من أوضح ما يكون في الدلالة علىٰ أن الإيمان يتناول ما يكون بالقلب وما يكون باللسان وما يكون بالجوارح، فالإيمان منه ما يكون بالقلب ومنه ما يكون باللسان ومنه ما يكون بالجوارح، وقد تناول هذا الحديث هذا كله، فقوله عليه الصلاة والسلام: «**أعلاها: قول: لا إله إلا الله**» هذا فيه ماذا؟ مرّ معنا قاعدة –لعلكم ما نسيتموها-: القول إذا أطلق يتناول قول القلب وقول اللسان، قول القلب اعتقادًا وقول اللسان نطقًا وتلفظًّا، فهنا يشمل العقيدة التي تقوم في القلب، ويشمل التلفظ بالشهادتين الذي يكون باللسان، فكل ذلك إيمان، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**وأدناها: إماطة الأذىٰ عن الطريق**» هذه عمل الجوارح، فعمل الجوارح من الإيمان وداخل في مسماه، وقوله: «**والحياء شعبة من شعب الإيمان**» دليل علىٰ أن عمل القلب ومنه الحياء داخلٌ في مسمَّىٰ الإيمان، فالحياء إيمان، الرجاء رجاء الله إيمان، التوكل علىٰ الله إيمان، خوف الله إيمان، خشية الله إيمان، كل هذه أعمال قلبية، وهي من الإيمان، يزيد الإيمان بزيادتها وينقُص بنقصها، والأعمال الظاهرة التي جاءت في الكتاب والسنة إيمان، يزيد الإيمان بزيادتها وينقص بنقصها، فهذا يدلُّ علىٰ أن الإيمان يتناول العقيدة الباطنة ويتناول الأعمال الظاهرة، ويتناول أيضًا ما يكون باللِّسان، فذكر الله إيمان، التَّسبيح إيمان، التهليل إيمان، قراءة القرآن إيمان، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إيمان، النصيحة لعباد الله إيمان، فهذا كله من الإيمان، فهذا توضيح للإيمان والمراد به.

أيضًا من الأحاديث التي توضح معنىٰ الإيمان: الحديث الذي في الصحيحين حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي قال: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو ومؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن**» فهذا أيضًا مما يوضح لنا الإيمان.

الإيمان يتناول العقيدة الباطنة، يتناول الأعمال الظاهرة، يتناول الأقوال الطيبة التي تكون باللسان، ويتناول أيضًا ترك ما حرم الله، فالترك إيمان، بُعد الإنسان عن الزنىٰ هذا إيمان، بُعده عن السرقة هذا إيمان، بُعده عن شرب الخمر هذا إيمان، بُعده عن الكذب هذا إيمان، بُعده عن الغش والخيانة هذا

إيمان، بُعده عن المحرمات إيمان، داخل في مسمىٰ الإيمان، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو ومؤمن**»، وهنا فيه نفي للإيمان في حق من زنىٰ أو سرَق أو شرب الخمر، وليس المراد بالإيمان المنفي هنا أصل الإيمان، ولا كذلك المراد بالإيمان المنفي هنا كمال الإيمان المستحب، وإنما المنفي كمال الإيمان الواجب، يعني: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**» الإيمان الواجب عليه، «**ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن**» الإيمان الواجب عليه، لأن الواجب علىٰ المسلم أن يبتعد عن الزنىٰ، يبتعد عن السرقة، يبتعد عن شرب الخمر، فإذا وقع في شيء من ذلك نقص من كمال إيمانه الواجب بحسب ما ارتكب من هذه الموبقات وبحسب ما فعل من هذه المحرمات.

إذن حديث أبي هريرة هذا يدلُّ علىٰ أن ترك المحرمات ماذا؟ إيمان، ولهذا عِفّة المؤمن عن الحرام وبعده عن الفواحش وتركه للمحرمات هو من الإيمان الذي يثيبه الله تبارك وتعالىٰ عليه يوم القيامة ويجزيه عليه أعظم الجزاء، ولهذا في سورة المؤمنون قال: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣﴾ إلىٰ أن قال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦﴾، إلىٰ أن قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ﴾، فلاحظ ترتُّب دخول الفردوس وترتُّب الثواب علىٰ مجموع أعمال الإيمان ومنها البعد عن المحرمات واجتنابها وتركها، فهذا كله يتناوله الإيمان ويدخل في مسماه، ولا يعقل حقيقة الإيمان ومعنىٰ الإيمان مَن أخذ يتحدَّث عن الإيمان ببُعد عن هذه النصوص، من يتحدث عن الإيمان وهو بعيد عن هذه النصوص ما يمكن أن يعرف الإيمان، ووالله لتعجب عندما تفتح بعض الكتب وهي مؤلفة ومكتوب عليها العقيدة الإسلامية ويتكلمون عن الإيمان ولا يذكرون آيات من القرآن ولا أحاديث عن النبي عليه الصلاة والسلام، ويشرح الإيمان شرحًا مبينًّا علىٰ اللغة أو مبنيا علىٰ أقيسة عقلية وكأن النبي عليه الصلاة والسلام ما شرح للأمة الإيمان ولا بيّنه لها ولا وضّحه ولا جاءت عنه أحاديث في بيان الإيمان وتوضيحه، أين هؤلاء الذين يشرحون الإيمان عن حديث شُعَب الإيمان؟ أين هم عن حديث وفد عبد القيس؟ أين هم عن حديث جبريل؟ أين هم عن حديث أبي هريرة؟ أين هم عن الأحاديث المتكاثرة في سنة النبي عليه الصلاة والسلام التي تشرح الإيمان؟ أين هم عن كلام الله عَزَّوَجَلَّ في القرآن الكريم؟ أيليق بمن يكتُب عقيدة إسلامية أو يدّعي أنها عقيدة إسلامية ويشرح الإيمان ولا

يذكر آية من القرآن؟! ولا يذكر حديثًا عن النبي عليه الصلاة والسلام؟! ويبدأ يتكلم في حدود اللغة ويتكلم في حدود الأقيسة العقلية، وبما أنه كذا إذن يكون كذا، ولو كان كذا إذن لكان كذا، ويدخل في مقدمات ونتائج وأمور من هذا القبيل يشرح بها الإيمان بلا آية وبلا حديث! فيا سبحان الله! ووالله إنك لتعجب غاية العجب من حال هؤلاء، وكثير من هؤلاء لمّا ابتلي بهذه الطريقة أصبح في غربة وفي بُعد عن النصوص ولم يعد يعرف شيئًا منها، حتىٰ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذمِّه وكلامه علىٰ المنطقيين، قال: "أصبح بعضهم ما يميز بين أحاديث النبي وقصص عنترة!!" تختلط عليه، قال: "حتىٰ إني رأيت بعضهم يقول: قال الله تعالىٰ ويذكر حديثًا عن النبي عليه الصلاة والسلام، ويقول: كما جاء في الحديث ويذكر آية في القرآن الكريم!" فهل هؤلاء الذين هم بهذا المستوىٰ هل يُحسنون شرح الإيمان، ويحسنون بيان الإيمان، ويحسنون توضيح الإيمان؟! لا آيات تتلىٰ من كتاب الله ولا أحاديث تُقرأ من كلام رسول الله؟! ولهذا شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما كتب كتابه الكبير الذي سماه «الإيمان» أول ما بدأ في مقدمة الكتاب ذكر وجود الخلاف ووجود المذاهب ووجود الآراء والأفكار التي تتحدث عن الإيمان، وقال: "إن هذه الخلافات كلها بسبب الدخول في المصطلحات والدخول في هذه الآراء، والبعد عن الأدلة" ثم قال: " وأنا أبيّن بعون الله تبارك وتعالىٰ الإيمان من خلال كلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام" وجاء بالآيات والأحاديث وأخذ يبين الإيمان من خلالها، فأصبحت ماذا؟ الآيات هي الحاكمة والأحاديث هي الحاكمة وهي المبيّنة وهي الشارحة، فبهذا يُعرف الإيمان المعرفة الصحيحة.

ولهذا قصدت بهذا الكلام نصيحة لإخواني: الذي يريد الإيمان يفعل مثل طريقة وفد عبد القيس، يحفظ الأحاديث ويحفظ كلام النبي عليه الصلاة والسلام ويعمل بتطبيقه ليدخل به الجنة ويبلِّغ به إخوانه، يبلغهم بحديث وفد عبد القيس، ويبلغهم بحديث جبريل، ويبلغهم بحديث الشُّعب والأحاديث الأخرىٰ التي توضح الإيمان وتشرحه، هذه هي طريقة السلف وكانوا رحمهم الله يكتبون كتب في الإيمان كلها آيات وأحاديث، اقرأ «الإيمان» لابن أبي شيبة، «الإيمان» لأبي عبيد، «الإيمان» لابن منده، كتب كثيرة ما فيها إلا آيات وأحاديث، والمتأخرين من علماء السلف احتاجوا إلىٰ بعض الكلام وبعض البيان للرد علىٰ من خالف هذه الآيات وهذه الأحاديث، وإلا الأحاديث والآيات كافية وافية شافية في معرفة الإيمان الذي أُمرنا به، وطُلب منا القيام به.

لعلكم انتبهتم في الشرح إلىٰ هذا التسلسل: حديث سفيان «**قل: آمنت بالله، ثم استقم**» تريد تشرح الحديث إن وقفت عند اللغة وحدها لن تصل إلىٰ معرفة الإيمان، الآن خذ هذا الحديث «**قل: آمنت بالله، ثم استقم**» واشرح لي هذا الحديث في حدود اللغة، ما الإيمان وما الاستقامة؟ وأسألك هل تفوز بالموعود الكريم لمن حقق مقصود الحديث الذي دلّ عليه قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٣﴾ [الأحقاف]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ﴾ [فصلت:٣٠]، هل يفوز بهذه البشارات وبهذا الموعود الكريم مَن يعرِّف الإيمان في حدود اللغة فقط، هل يفوز بهذا الموعود؟! أبدًا، لابد من الرجوع إلىٰ الكتاب والسنة وإعمال الأدلة لفهم ماذا؟ لفهم الإيمان، فتشرح هذا الحديث «آمنت بالله» ببيان النبي عليه الصلاة والسلام لوفد عبد القيس، ببيانه لجبريل في سؤاله التعليمي «هذا جبريل أتاكم يعلِّمكم دينكم»، بحديث الشعب حديث أبي هريرة، بحديث «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»، وغيرها من الأحاديث «**لا إيمان لمن أمانة له**»، وتمضي معك أحاديث كثيرة جدًّا شارحة للإيمان، تريد أن تفهم الإيمان ولا تفهم هذه الأحاديث!! فأنت تشتغل في ماذا؟! ولهذا النصيحة أن نعود إلىٰ طريقة السلف الصالح نقرأ الآيات ونقرأ الأحاديث ونحفظ النصوص، ونفهم كلام الله ونفهم كلام الرسول عليه الصلاة والسلام ونعمل بذلك، هذا هو الإيمان الذي أَمرنا الله عَزَّوَجَلَّ به ودعانا إليه، بيّنه في كتاب الله وفي أحاديث الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام.

وأختم بشيء يتعلَّق بهذه الأمور التي هي داخلة في مسمَّىٰ الإيمان يقسّمها العلماء إلىٰ أقسام ثلاثة:

القسم الأول يذهب الإيمان بذهابه.

والقسم الثاني: يذهب كمال الإيمان الواجب بذهابه.

والقسم الثالث: يذهب كمال الإيمان المستحب بذهابه.

فهي علىٰ أقسام ثلاثة، ولهذا لو تلاحظ حديث الشعب قال: «**أعلاها: قول: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذىٰ عن الطريق**» هل من ترك الشهادتين مثل من ترك إماطة الأذىٰ عن الطريق؟ هل هما شيء واحد؟ هل الترك هذا واحد؟ «**أعلاها: قول: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذىٰ عن الطريق**»، إذن هذه الشعب الداخلة في مسمىٰ الإيمان ليست علىٰ درجة واحدة، ليست علىٰ مستوىٰ واحد، هي كلها داخلة في مسمَّىٰ الإيمان، والإيمان شامل لها؛ لكنها متفاوتة في الدرجات:

منها ما يذهب الإيمان بذهابه.

منها ما يذهب كمال الإيمان الواجب بذهابه.

منها ما يذهب كمال الإيمان المستحب بذهابه.

وتوضيح ذلك:

لو إن إنسانًا يصلي ويصوم ويفعل الطاعات ويؤمن بما أمر الله تبارك وتعالىٰ بالإيمان به لكنه قال معتقدًا ذلك: أنا عندي شك في الملائكة وفي وجود الملائكة، ونحو ذلك، هل هذا عنده إيمان؟ صلاته صيامه حجه زكاته أعماله الأخرىٰ هل هذه تُقبَل منه؟ فمن الإيمان ما يذهب الإيمان بذهابه كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٥﴾ [المائدة]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة:٥٤]، النفقات عمل طيّب يحبه الله ﷻ، ولكنه لا يقبله ممن ليس عنده إيمان، فمن الإيمان ما إذا انتفىٰ لم ينتفع الإنسان بعمله ولم تُقبل منه طاعته.

لو إن إنسانًا أتىٰ بأمور الإيمان ولكنه شكّ في القدر، ماذا قال ابن عمر في القدرية –والقصة موجودة في «صحيح مسلم» في أول حديث جبريل– ماذا قال فيهم؟ قال: "أخبرهم أنني بريء منهم وأنهم مني برءاء، وأن الله عَزَّوَجَلَّ لا يقبل من أحدهم صرفًا ولا عدلًا، لو أنفق أحدُهم مثل أُحد ذهبًا ما تقبله الله منه ما لم يؤمن بالقدر"، جبل أُحد تعرفونه جبل عظيم من جبال المدينة، فيقول: "لو أنفق أحدهم مثل أُحد ذهبًا ما تقبَّله الله منه ما لم يؤمن بالقدر"، فلو إن إنسان عنده صلوات وعنده صيام لكنه يجحد القدر ويقول: ليست الأمور بقدر، هل هذا عنده إيمان؟ ليس بمؤمن هذا كافر، فإذن من أمور الإيمان ما يذهب الإيمان بذهابه.

ومن أمور الإيمان ما يذهب كمال الإيمان الواجب بذهابه: ومن ذلك ما جاء في الحديث: «**لا يزني الزَّاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السَّارق حين يسرق وهو مؤمن**»، هذا الآن الذي زنىٰ أو سرق أو شرِب الخمر ما الإيمان الذي انتفىٰ في حقه؟ هل الذي انتفىٰ في حقِّه أصل الإيمان؟ يعني يكون معنىٰ «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**» مَن زنىٰ فهو كافر، هل هذا هو المراد؟ أبدًا، ليس هذا هو المراد، وهل المراد بـ«**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**» نفي كمال الإيمان المستحب؟ أيضًا ليس هذا هو المراد، إذن المنفي هنا هو كمال الإيمان الواجب، يعني مَن زنىٰ فإن إيمانه الواجب نقص بحسب ما وقع فيه من

هذه الأعمال، إذن من أمور الإيمان أمور واجبة فإذا نقص شيئًا منها نقص من الإيمان الواجب بحسب ما حصل منه في هذه الأمور.

الأمر الثالث: نقص الإيمان المستحب، إماطة الأذىٰ عن الطريق هذا من الأمور المستحبة، إذا رأيت في طريق المسلمين شيء يؤذيهم إما شوك أو حجر في طريق السيارات ربما يقلب سيارة ويضر بها فأوقفت سيارتك وأمطت هذا الحجر عن طريقه، هذا من الإيمان المستحب وقد يكون في بعض الأحيان واجب إذا كان يترتب علىٰ بقائه ضررًا محقَّقًا في حق المسلمين، وهذا عمل من أعمال الإسلام العظيمة، في «صحيح مسلم» يقول عليه الصلاة والسلام: «مرّ رجل في طريق فوجد غصن شجرة ذا شوك، فقال: والله لا أدع هذا في طريق المسلمين فيؤذيهم، فأخذ الغصن ونحّاه فشكر الله عمله فأدخله الجنة»، وانظر هذا الرجل الذي قام في قلبه رحمة للمسلمين ومحبة للخير لهم «والله لا أدع هذا في طريق المسلمين فيؤذيهم» فأماط، ونفس إماطة الأذىٰ التي هي من الإيمان يتفاوت الناس في ماذا؟ فيها، مع مباشرة عمل واحد من كثير منهم لكن يتفاوتون، ممكن أحد يُميط الأذىٰ من طريق المسلمين لأن هو يمر من هذا الطريق فيقصد في إماطته ألا يؤذي شخصه هو، ولا يلتفت بقلبه إلىٰ معنىٰ يتعلَّق بالمسلمين ورحمة لهم ومحبة خير لهم أو نحو ذلك، وآخر: لا، مثل هذا الرجل «والله لا أدع هذا في طريق المسلمين فيؤذيهم» فقام في قلبه من الرحمة والمحبة للمسلمين وتجنيب المسلمين ما يؤذيهم، فانظر هذا الإيمان، شكر الله عمله فأدخله الجنة؛ بل الرحمة بالحيوان في قصة الرجل أو المرأة البغي التي وجدت كلبًا أو وجد كلبًا يلهث من شدة العطش، فما كان معه إلا خُفّه فنزل في بئر وملأه ماء وأمسكه بفيه وخرج وسقىٰ هذا القلب رحمة منه فشكر الله عمله فغفر له، فهذه كلها أعمال إيمان يثيب الله عليها، يثيب علىٰ الرحمة التي في قلبك للمؤمنين، محبة الخير لإخوانك المؤمنين، النُّصح لهم، الإيثار، الأخوَّة، جميع هذه المعاني كلَّها يثيب عليها وهي من الإيمان.

فالشاهد أنَّ من أمور الإيمان ما يذهب الإيمان بذهابه، ومنها ما يذهب كمال الإيمان الواجب بذهابه، ومنها ما يذهب كمال الإيمان المستحب بذهابه، ومثّلتُ لكلٍّ بمثال أو ببعض الأمثلة.

وهنا يجب علىٰ المسلم أن يبتعد عن الخلط في هذه الأمور، وعن التعميم وكم أضر التعميم بالناس! يأتي ويعمم ولا يفصِّل ولا يميز بين الأمور، فيخلط ويعمم ويذكر أمورًا فتوجد إشكالات وخلافات وشقاق بين الناس وعداوات وخصومات ليس من ورائها طائل في نفع الناس في دينهم وإيمانهم

وعبادتهم لربهم تبارك وتعالىٰ.

وهناك رسالة أنصح بقراءتها في هذا الباب صغيرة الحجم كبيرة الفائدة للشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنوانها «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» من أروع ما يكون في بيان الإيمان، مختصرة وكلها آيات وأحاديث وأدلة مع بعض التوضيح من الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لها.

وقسّم هذه الرسالة إلىٰ أقسام ثلاثة:

القسم الأول: في حدّ الإيمان تفسيره.

والقسم الثاني: في الأمور التي يُستمد منها الإيمان.

والقسم الثالث: في فوائد الإيمان وثمراته.

وهي والله رسالة عظيمة جدًّا ونافعة «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» للشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وهنا نقف ونسأل الله جل وعلا لنا ولكم التوفيق والسداد، وأسأله جل وعلا أن يزينني وإياكم بزينة الإيمان، وأن يجعلنا هداة مهتدين، وأن يصلح لنا جميعًا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأن يصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأن يصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، وأن يجعل الحياة زيادة لن في كل خير والموت راحة لنا من كل شر، والله تعالىٰ أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.